

المنهجية الفعالة في التعامل مع التراث اللغوي العربي والوافد اللساني الغربي في ظل الكتابات اللسانية التمهيدية

Effective methodology in dealing with the Arab linguistic heritage and the Western linguistic heritage In light of the introductory linguistic writings

إسلام حب الدين islam.habbeddine@yahoo.com

جامعة محمد البشير الإبراهيمي برج بوعريش

حليم بن قليل benguellilhalim68@gmail.com

جامعة محمد البشير الإبراهيمي برج بوعريش

تاريخ النشر: 2021/01/01

تاريخ القبول: 2020/12/05

تاريخ الاستلام: 2020/12/02

ملخص:

منذ دخول اللسانيات إلى العالم العربي في منتصف القرن العشرين؛ غدا مقرا أن يكون الفكر العربي الحديث في حالة مد وجزر؛ أساسها الفجوة القائمة بين الدارسين واللسانيين المحدثين، والحوار العقيم بين دعاة الأصالة ودعاة الحداثة، وقد كان مثار نقاشات حادة تجاوزت في كثير من الأحيان حدود الاختلاف العلمي، وتحولت من لسانيات إلى تلاسن، خضعت للكثير من الدراسات التي أدت في النهاية إلى ترتيبها وتصنيفها في اتجاهات مختلفة، أو ما يمكن أن نصلح عليه بالمواقف الفكرية المتباينة في تصورهما لطبيعة العمل اللساني العربي وهدفه.

غايتنا في هذه الورقة البحثية هو مُحَاوَلَةُ التعمق بعض الشيء في هذه المواقف المتعلقة بالكتابات اللسانية العربية، مبهدين الحديث عن حدود الدرس اللساني العربي الحديث وعن النشاط اللساني العربي الحديث وصوره لكل موقف على حدة، والكشف عن المنهجية الفعالة في التعامل مع التراث اللغوي العربي والوافد اللساني الغربي، وإمكانية التأليف بينهما إذا توافرت الشروط العلمية المطلوبة وهو ما نسعى إلى إبراز بعض تجلياته في هذه المداخلة. كلمات مفتاحية: تصنيفات الكتابة اللسانية العربية، التراث اللغوي العربي، الوافد اللساني الغربي، الكتابة اللسانية التمهيدية.

Abstract:

Since linguistics entered the Arab world in the mid-twentieth century; Tomorrow, modern Arab thought will be in a state of ebb and flow; Its basis is the gap existing between scholars and modern linguists, and the sterile dialogue between the advocates of originality and the advocates of modernity, and it was the subject of intense discussions that often exceeded the limits of scientific difference, and transformed from linguistics into a collusion, which underwent

many studies that ultimately led to its arrangement and classification in different directions. Or what we might term the differing intellectual positions in their perception of the nature and purpose of Arabic linguistic work.

Our goal in this research paper is to try to delve a little deeper into these positions related to Arabic linguistic writings, paving the talk about the limits of the modern Arabic linguistic lesson and the modern Arabic linguistic activity and its pictures for each position separately, and to reveal the effective methodology in dealing with the Arab linguistic heritage and the Western linguistic heritage And the possibility of composing between them if the required scientific conditions are met, which is what we seek to highlight some of its manifestations in this intervention.

Keywords: Classifications of Arabic linguistic writing; Arab linguistic heritage; Western linguistic origin; introductory linguistic writing.

1. مقدمة:

إن المتتبع لتاريخ الدراسات اللغوية منذ نشأتها سيلاحظ أن كل دراسة وفي كل عصر كان لها هدف معين؛ فالدراسات القديمة كانت في معظمها لغرض ديني؛ فهي عند الهنود للمحافظة على كتابهم المقدس "الريغ فيدا" لأنهم لا يسمحون بالأخطاء في لغتهم، والشيء نفسه عند الإغريق واليونان... وغيرهم من الشعوب.

ويمكن ملاحظة ذلك بوضوح في الدراسات العربية القديمة، حيث كان الهدف الأساسي منها هي الأخرى المحافظة على القرآن الكريم بالدرجة الأولى، وفهمه والمحافظة على لغته، ثم الحديث النبوي الشريف بالدرجة الثانية، وبعدها الحفاظ على لغتهم من الزوال والاضمحلال⁽¹⁾.

والدراسات الغربية الحديثة هي الأخرى لها غاية محددة، حيث جاء في محاضرات دي سوسير (De Saussure) أن الهدف من اللسانيات هو: معرفة الألسنية من حيث هي ظاهرة بشرية عامة، واكتشاف القوانين الضمنية التي تحكم الظاهرة اللغوية، وضبط سماتها الصوتية والتركيبية والدلالية، للوصول إلى قوانين كلية للغة وشرح خصائص العملية الكلامية، وبناء نظرية لسانية لها صفة العموم، إذ يمكن على أساسها دراسة

جميع اللغات وتاريخها بسرد تاريخ الأسر اللغوية، وإعادة بناء اللغة الأم في كل منها ما أمكنها ذلك⁽²⁾.

ولما كانت كل الدراسات لها غاية محددة وتتخذ موضوعها معينا فإنه من شأن الدراسات اللغوية العربية الحديثة أن تكون لها هي الأخرى غاية وهدف محدد. لكن ليس من السهل تحديد هدف وغاية الدراسات اللغوية العربية الحديثة لأن هذه الأخيرة أثارت الكثير من التساؤلات، وخضعت للكثير من الدراسات التي أدت في النهاية إلى ترتيبها وتصنيفها في اتجاهات مختلفة، أو ما يمكن أن نصلح عليه بالمواقف الفكرية المتباينة في تصورهما لطبيعة العمل اللساني العربي وهدفه.

فمنذ دخول اللسانيات إلى العالم العربي في منتصف القرن العشرين عن طريق الدارسين والباحثين العرب الذين تتلمذوا على أيدي الباحثين الغربيين ودرسوا في الجامعات الأوروبية والأمريكية...، حيث نقلوا إلينا أفكارهم وأرائهم على أنها العلم الذي لا يقبل الجدل؛ وغدا مقررا أن يكون الدرس اللغوي العربي الحديث في حالة مد وجزر، أساسها الفجوة القائمة بين الدارسين واللسانيين العرب المحدثين، وعليه فإن السؤال الذي يطرح نفسه أمام هذا الموضوع:

- ما هي المنهجية الفعالة في التعامل مع التراث اللغوي العربي والوافد اللساني الغربي؟ وما هي أهم مواقف اللسانيين العرب المحدثين من التراث واللسانيات؟ وهل من سبيل للجمع بينهما؟

وانطلاقا من هذه المواقف صنف الباحثون الكتابات اللسانية العربية الحديثة حيث كان الموقف الثائر على المواريث يقدم الدراسات الغربية الحديثة كبديل، ويقدم تعريف بمناهجها ومؤلفاتها، ويطلق على هذا النوع من المؤلفات (الكتابات التمهيدية)، أما موقف التراث فإنه يتبنى آراء التراث العربي، ويعمل على إعادة قراءته، ويطلق على هذا النوع من المؤلفات اسم: (لسانيات التراث)، وموقف التوفيق يحاول دراسة اللغة العربية من خلال تطبيق مناهج حديثة، ويطلق على هذا النوع من المؤلفات اسم: (لسانيات عربية) كونهم ينطلقون من التراث ويطعمونه بمناهج ونظريات لسانية حديثة، كما

يحاولون تطبيق المناهج الغربية الحديثة على نماذج عربية، وذلك حال معظم الدراسات لأن أعلام اللسانيات ينهضون في هذا المسار اللساني المعاصر لإعادة تأسيس هذا العلم الوليد ويذهبون في ذلك مذهبية⁽³⁾:

الأول: مذهب القراءة المجردة الذي يقوم على فرض وتبسيط مقولات الفكر المعاصر على الفكر اللغوي العربي القديم من أجل تقييمه من وجهة نظر التصورات الفعالة.

الثاني: فيتمثل في محاولة اللسانيين قراءة التراث اللغوي العربي ومحاولة البحث عن أصوله قبل دي سوسير، ورجوعاً بالنظريات اللسانية إلى روادها الحقيقيين.

إن هذا الوعي جعل العرب أمام أنموذجين حضاريين وجعل اللسانيات العربية الحديثة تعيش حالة من المد والجزر بين الطرفين، الأول عائد إلى الماضي باعتباره هوية الأمة الواجب الحفاظ عليها بتكريسها كروية صالحة لكل زمان ومكان، والتي يعد تجاوزها شكلاً من أشكال الخيانة، معتمداً في طرحه على أساليب التقويل والاستنتاج محاولاً ربط كل جديد يظهر بالتراث، أما الثاني فيعمل على تمثيل الحاضر باعتباره عملاً وضع لزمان غير زمننا ويعالج قضايا لم يعد لها وجود في واقعنا، وهو يمارس عبر طرحه هذا كل أشكال الاستيراد والتبني للمناهج والرؤى الغربية على النتاج الفكري واللغوي بحجج مختلفة كالعلمية والعالمية والحداثة وغيرها...⁽⁴⁾.

وفي السياق نفسه تذهب فاطمة الهاشمي بكوش إلى القول بأن: "وبذلك كان الفكر العربي الحديث يشكل قطبين متنافرين: الأول سلفي يحاول أن يعيد إنتاج الموروث العربي بصيغته القديمة نفسها، أو بصيغة معدلة تعديلاً جزئياً، وحداثي يحاول أن يتبنى المسار الحضاري الغربي بكل تفصيلاته، فيعلن القطيعة مع القطب الأول"⁽⁵⁾.

وفي فوضى هذه التقاطعات حاول البحث اللساني العربي أن يبني لنفسه هيكلاً مستقلاً يصف من خلاله اللغة العربية معتمداً على كل هذه الأصول، فاتجهت اللسانيات العربية الحديثة إلى ما يمكن تسميته (لسانيات توفيقية)، يمزج مقولات النظرية الغربية الحديثة بمقولات نظرية النحو العربي وكان هذا هو المسار الأساسي في اللسانيات العربية، وفي هذا الصدد ذهب تمام حسان إلى القول بأن الدراسات اللسانية العربية الحديثة

تتوجه اتجاهين أساسيين هما: التوجه إلى التراث العربي، أو التوجه صوب الدراسات اللسانية الغربية، ويرى بأن أفضل طريق هو الجمع بين الاثنين⁽⁶⁾.

وانطلاقاً من هذا الطرح العلمي، نحاول التعمق بعض الشيء في هذه المواقف المتعلقة باللسانيات العربية الحديثة، ممهدين أولاً بالحديث عن حدود الدرس اللساني العربي الحديث وعن النشاط اللساني العربي الحديث وصوره لكل موقف على حدة.

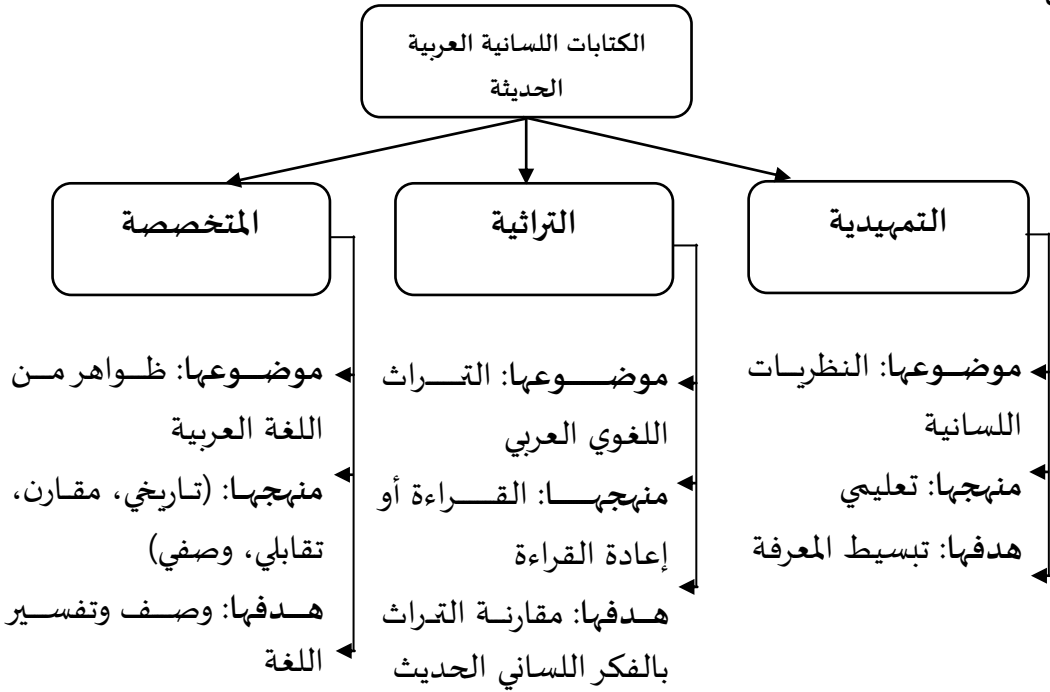
2. حدود الدرس اللساني العربي الحديث

قد يشي هذا العنوان بالبحث عن "الجزور الأولى للبحث اللساني في الثقافة العربية وهو بحث نسعى دائماً إلى تجاوزه لأننا نتحدث عن اللسانيات الدوسوسيرية لا عن الإرهاصات اللسانية في دراسة اللغات البشرية، لأننا حينئذ سنعد مخترع الكتابة أياً كان هو اللساني الأول في التاريخ، وبعد ذلك تصبح الجهود اللغوية اللاحقة عند الأمم كلها طرقاً أدت في النتيجة إلى تكون الصورة الأولى لللسانيات الحديثة عند دوسوسير، ومن هذه الطرق الطريق الذي سلكها علماء العربية في تقعيد علوم العربية في النحو والصرف والصوت والمعجم والدلالة...، وعندها سيغدو الحديث عن البحث اللساني ضرباً من المفارقة بين الأمم في الجهود اللسانية، وهذا الحديث يفقد اللسانيات أهم سماتها وهي أنها تدرس اللغة ابتداءً؛ لأنها ظاهرة بشرية تتجاوز الاختلاف في الأصوات وطرائق بناء الكلمات وتركيب الجمل بين اللغات البشرية"⁽⁷⁾.

وعليه؛ فإنّ معادلة توازن البحث اللساني في الثقافة العربية مرتبطة بالقرن العشرين (ق 20)، بل بالنصف الثاني منه، وهي بهذا الارتباط سهلة التقييم لأنها مختصرة في أقل من قرن من الزمن، وإن كانت من التنوع والتعدد بحيث تضحي صعبة التقييم.

فالحديث عما يعرف باللسانيات العربية الحديثة أو الدرس اللساني العربي الحديث ينبغي أن يقتصر على جملة من المؤلفات التي ألفها العديد من الباحثين العرب منذ منتصف الأربعينيات من القرن العشرين، حيث كانت الإرهاصات الأولى للتعرف على مناهج النظر اللساني الغربي الحديث، من خلال كتابات رفاعة الطهطاوي، وجورجي زيدان...، أما إذا ربطنا نشأة الدرس اللساني العربي الحديث بتاريخ صدور أول كتاب تبني

المناهج الغربية الحديثة وتبنى أفكار النظريات اللسانية الحديثة فيمكن تحديده ما بين [1943 و1946] وهي المدة التي يرجع فيها صدور كتاب (الأصوات اللغوية) لإبراهيم أنيس عند تطبيقه لمبادئ البنيوية في وصف أصوات اللغة العربية، وتوالت بعدها الكتابات اللسانية العربية من أجل النهوض بالدرس اللساني العربي الحديث، وانقسمت هذه الكتابات إلى كتابات تمهيدية (تبسيطية)، وكتابات تراثية (قراءة التراث)، وكتابات متخصصة (لسانيات عربية)، ولكل كتابة موضوعها ومنهجها وهدفها بنسبته على النحو التالي⁽⁸⁾:



3. مواقف اللسانيين العرب المحدثين من التراث اللغوي واللسانيات

إننا بعد نصف قرن أو يزيد من طرح الرؤى اللسانية على المشتغلين بعلوم العربية خاصة والمتقنين في العالم العربي عامة، لم نخرج من دائرة الجدل في فهم اللسانيات بل في طرحها لأن جهود الباحثين في تقديم اللسانيات للعالم العربي تاهت في منعطفات ثلاث خطيرة، وهي المواقف التالية:

3. 1. موقف الجمود عند التراث

أو يمكن أن نسمي هذا الموقف بمنعطف الرفض وفلسفة الاتهام، فليس غريباً أن يقابل الجديد بالرفض، "بل لعل هذا الأمر من سنن البشر في تقبل ما هو جديد، لكن من سنن البشر أيضاً أن الرفض كالمرض يزول غالباً مع مرور الوقت بالاعتناع، فما كان غريباً لجذته أصبح مألوفاً لاعتناع الناس به ولشيوعه بينهم وظهور فوائده، لكن الأمر في طرح اللسانيات في العالم العربي عموماً دخل في مأزق تطاول مدة الاعتناع؛ لأن اللسانيات عندما طرحها الباحثون الجدد منذ خمسينات القرن العشرين طرحوها كمولود جديد غير مكتمل النمو لوجود مرضين عضالين في ذلك الطرح"⁽⁹⁾:

أولهما: يتمثل في الغربنة (من التغريب) الفكرية في مقابل مجتمع متمسك إلى حدّ كبير بموروث فكريّ حضاري مسلم وعربيّ، وهي بهذا المرض كالفكر المعادي، إذ طُرحت كمحصول فكريّ نضج في أوروبا في ظل مجتمع متعدّد الرّوى والاتجاهات، فاللسانيون الأوائل هم من خريجي الجامعات الفرنسيّة والألمانيّة والبريطانيّة الذين طرحوا اللسانيات من غير قصد على أنها العلم الذي حرّر الدروس اللغويّة في أوروبا من الأوهام غير العلميّة وقادها نحو تجميع مفهوم العلم الشامل المبرهن، وهي بهذا الطرح تتناسى أنّ الموروث اللغويّ في العربيّة يحظى بأعلى درجات الاحترام والتقدير في العالم العربيّ، ولم يصل الأمر عند عموم دراسي العرب حدّ الاعتناع بالحاجة إلى (مساعدٍ) جديد يطرّو رؤاهم اللغويّة في مستوياتهم كافّة، فنظر كثير من أبناء الخمسينات والستينات إلى اللسانيات على أنّها بديل غير مرغوب فيه للنحو والصرف والمعجم في العربيّة، وما يزال أنصارُ هذا التيار موجودين في المجتمع العربي من معلم المدرسة إلى أستاذ الجامعة، بحجة عدم الحاجة مع إضافة صفة اتهام طارحي اللسانيات بالغربنة.

وأما ثانيهما: فيتمثل في توجّه اللسانيات العربيّة إلى القارئ العربي والمثقف العربي بدل التوجّه أولاً إلى الباحث العربيّ، فالدكتور محمود السعران عندما ألف كتابه: (علم اللغة) أضاف إلى عنوانه مقولة: (مقدمة للقارئ العربيّ) وهذه المقولة خطيرة جداً، لأنّها تدلّ على تجاوز الباحث إلى المثقف، وهذا التجاوز قد يكون يأساً من إقناع الباحث آنذاك

بالمقولات اللسانية، أو التفافاً عليه بالذهاب إلى المثقف والقارئ، وهو في الحالتين يشير إلى مأزق في الطرح الأول لهذا العلم، مما يعني أن بعض اللسانيين الأوائل لم يحسنوا زرع النباتات اللسانية في العالم العربي، لأنهم حملوا اللسانيات، ولم يحملوا طريقة زرعها في العالم العربي بالحوار المبني على فهم التراث اللغوي العربي أولاً، ثم فهم المعطيات اللسانية ثانياً.

هذا هو إذن فهم أنصار التراث لكل علم أو فن وافد من الغرب، وبالأخص اللسانيات، وهذا هو موقفهم الذي يعد الدكتور محمد حسين خير ممثل له فقد ناصب هذا الرجل العداء لكل شيء مجتلب من الغرب، على الرغم من إيمانه بأن "تعارف الناس وتبادل الحضارات حقيقة واقعة وسنة جارية"⁽¹⁰⁾، ولكن إذا تعلق الأمر بعلوم الأدب أو علوم اللغة، فإن نقل مناهج النظر الحديث ومحاول إسقاطها على التراث يعني "انحلال الأمة التي تحاوله، وذوبانها في الأمة التي تقلدها إن نجحت في هذا التقليد، أو سقوطها في هفوة الضياع والعدم إن فشلت فيه"⁽¹¹⁾.

وهكذا راح هذا الباحث يطعن في كل محاولة جادة لإعادة قراءة التراث وفي كل الجهود التي بذلها خريجو أكبر وأعرق الجامعات العالمية، حيث اعتبر أن هؤلاء نقمة على التراث العربي بعامه، وعلى التراث اللغوي بخاصة، فهم في زعمه غريان ناعقة تردد ما لا صلة له بترائنا بل هم أذنان المحافل الماسونية التي لا ترى للعرب أية منقبة حميدة، وهكذا استمر محمد حسين في دفاعه المستميت عن التراث من جهة ومهاجمة أقطاب الحداثة من جهة أخرى فراح يستعرض آراءهم وأفكارهم في قالب نقدي لاذع وإنقاصاً من قيمة بحوثهم ودراساتهم في الدرس اللغوي الحديث⁽¹²⁾.

ومن هنا حملت الطروحات اللسانية الأولى في العالم العربي اتهامات للغة العربية في نحوها وصرفها ومعجمها...، كما يبرز في بعض أعمال الرواد الأوائل مثل الدكتور عبد الرحمن أيوب، والدكتور أنيس فريحة وغيرهما وقد نستثني اثنين من ذلك الجيل هما الدكتور إبراهيم أنيس والدكتور تمام حسان.

إذن، فبدل أن تمرّ اللسانيات في الثقافة العربيّة من منعطف الرفض بسرعة "بقيت فيه مدة طويلة بدليل وجود رافضين لها بين الباحثين في العربيّة نحوًا وصرفًا ومعجمًا على هدي التراث اللغويّ إيماناً منهم بأنه ليس بالإمكان أبدع مما كان، وهي مقولة خطيرة حدّرتها الجاحظ (ت: 255هـ) في القرن الثالث الهجريّ"⁽¹³⁾.

3. موقف الثورة على كل الموارث

أو كما أطلق عليه الباحث حسن خميس الملقب "منعطف القبول المطلق وموت الذات"⁽¹⁴⁾، وفي هذا المنعطف الثائر على التراث اللغوي العربي لا بد أن نبين أن هناك ثمة فرق جوهريّ في طرح العلوم الجديدة عائد إلى أمرين: "الطرح المعزول عن الذات بمعنى طرح الجديد وإماتة القديم، والثاني الطرح غير المعزول عن الذات الذي يطرح الجديد من غير أن يلغي القديم بكامله، وقد وقع بعض اللسانيات في العالم العربي في الأمر الأول، فضاعت من طروحاتهم جهود أكثر من اثني عشر قرناً من الدراسات اللغويّة للغة العربيّة في علومها كلها، ولهذا كان من الطبيعي أن تكون ردّة الفعل على هذا الطرح رفض الاستماع لأي طرح لسانيّ، الأمر الذي يجعل هذا المنعطف يتحد مع المنعطف السابق ليصبحاً معاً قلعة في وجه رياح اللسانيات التي قال بعض أصحابها بضرورة إعادة وصف اللغة العربيّة ألسنيّاً بعيداً عن أي موروث لغوي مهما كان حضوره.

إن مساحة الآخر في هذا المنعطف أكثر بكثير من مساحة أنصاره، لهذا لم يسلم أنصاره من تُهم الانسلاخ عن الحضارة العربيّة الإسلاميّة، بل رأى فيه الآخر خطراً يهدد ثابتاً هو أهم الثوابت في حياة المسلمين، وهو القرآن الكريم، فلغة القرآن محروسة بقوانين العربيّة في النحو والصرف والمعجم، وقد أثبتت هذه القوانين عبر قرون الإسلام كلّها قدرتها على رفد الكلمة القرآنية في دلالتها واستقامتها وموقعها من التركيب بالتفسير المقبول، ويمكن للمتتبع لحركة تقييم الجهود اللغويّة في القرن العشرين أن يلحظ بوضوح أن معظم من وجّهت إليهم تهم معاداة اللغة العربيّة في الإملاء أو النحو أو الأصوات هم من اللسانيين لأنهم وقعوا في منعطف القبول المطلق بالمقولات اللسانية مع

أنّ من طبيعة اللسانيات أنّها علم متغيّر غير ثابت حتى يمكن وصفها بالعلم المنقوص النواميس، وهي بهذا ضد المطلق الثابت⁽¹⁵⁾.

قبل أن تتجذر اللسانيات في العالم العربي كان بعض رواد اللسانيات في العالم العربي يوجهون سهام نقدهم إلى النحو والصرف والمعجم باسم علم اللسانيات، فثار معظمهم على نظرية العامل والعلل والإعلال والإبدال والصناعة المعجمية التقليدية، وهذا الأمر يمكن أن نتبيّنهُ بوضوح في الأعمال الأولى لإبراهيم أنيس وتامام حسان ومهدي المخزومي وعبد الرحمان أيوب وكمال بشر وأنيس فريحة... وغيرهم.

3.3. موقف التوفيق بين التراث واللسانيات

وهذا الموقف يسعى إلى توصيل وربط الماضي بالحاضر، وإقامة جسر تواصل بين التراث اللغوي العربي والوفاة اللساني الغربي؛ ففي السبعينات من القرن العشرين أصبح الحديث اللساني حديثاً مقبولاً عند المتخصصين والمثقفين، لأنّ رواده تجاوزوا النقد وحده إلى الحوار، كما في أعمال عبد الرحمن الحاج صالح (1927م/2017م)، والطور الثاني من أعمال تمام حسان مثل اللغة العربية معناها ومبناها، وتمتدّ هذه المرحلة إلى الثمانينات فتبرز أسماء جديدة مثل: عبد القادر الفاسي الفهري، ونهاد الموسى، ومازن الوعر، وخليل عمايرة، ومحمد يوسف حبص وعبد السلام المسديّ.. وغيرهم، ثم يأتي الجيل الجديد بوعي أكثر انفتاحاً على اللسانيات وفروعها لكن للأسف بوعي منقوص إلى حدّ ما عند كثير منهم للتراث اللغوي⁽¹⁶⁾.

فجُلّ الدعوات التي دعا إليها أنصار هذا الموقف هو الانطلاق مما هو موجود عندنا من التراث والاعتماد عليه، وأن ننطلق من أفكار اللغويين القدامى القيّمة، والاعتماد على نظريات النحو الثمينة التي تضاهي نظريات اللسانيات الحديثة، والحفاظ على أصول اللغة العربية، وقواعدها، مع البحث عن منهج مبسط لتدريس وفق متطلبات العصر في ظل الدرس اللساني المعاصر.

فأصحاب هذا الموقف يتميزون بالاعتدال والوسطية ومحاولة تدبير الاختلاف بين التراث اللغوي العربي واللسانيات الحديثة، تدبيرا يقوم على اعتراف واضح بالقيمة

المعرفية للتراث اللغوي العربي وللنظريات اللسانية الحديثة في الوقت نفسه، فأول رأي يطالعنا في هذا الباب رأي عبد الرحمن الحاج الذي يدعو - من خلال النظرية الخيلية الحديثة - إلى إعادة قراءة وبعث الآراء والاجتهادات النظرية للنحاة الأوائل وعلى الأخص مدرسة الخليل بن أحمد الفراهيدي، التي تميزت باعتمادها على مبدأ المنطق الرياضي في وصف اللغة وتحليلها، هذا المبدأ الذي تبنته أحدث النظريات اللسانية في العالم ككل، فيحاول الأستاذ عبد الرحمن الحاج صالح من خلال النظرية الخيلية الحديثة الكشف عن القيمة العلمية لأعمال النحاة العرب القدامى، من خلال استثمار أبحاثهم وتحليلاتهم وأوصافهم للغة في شتى ميادين اللسانيات التطبيقية وميادين التعليم، كالعلاج الآلي للنصوص والترجمة الآلية...

وهو في هذا النهج التوفيقي يسعى إلى الإسهام الجاد في إعادة قراءة التراث العربي الأصيل من خلال أسس علمية ومفاهيم لسانية حديثة دون التقيد بالتقليد الأعمى لكل ما هو تراثي، من أجل النهوض باللغة العربية ومناهجها وتعليمها وترقيتها، واستثمار تلك البحوث العلمية الجديدة في استنطاق التراث اللغوي العربي.

وثاني رأي نسوقه في هذا الباب هو رأي نهاد الموسى من خلال كتابه (نظرية النحو العربي في ضوء مناهج النظر اللغوي الحديث)، حيث راح الباحث يتحسس معالم اللسانيات الحديثة في مصادرها، ويتلمس معطياتها من خلال سبر أهم الاتجاهات والمناهج التي قامت عليها، ويؤسس لقراءة جديدة تتسم بالموضوعية والدقة والمنهجية في الطرح، قوامها استثمار كل ما من شأنه أن يضيف إلى التراث ما هو في حاجة إليه من إضافة، أو يعدل ما هو في حاجة إليه من تعديل⁽¹⁷⁾.

وثالث رأي نستعرضه في هذا الباب هو رأي الدكتور أحمد المتوكل، الذي لا يختلف اثنان في كونه رائد الدرس اللساني الحديث، فقد كرس هذا الرجل جل أعماله لإعادة قراءة التراث وفق ما تقتضيه المنهجية الحديثة⁽¹⁸⁾، ومن بين آرائه ضرورة استثمار الباحثين العرب المعاصرين لمناهج النظر اللغوي الحديث، وإسقاط صرامتها المعرفية ودقتها المصطلحية على التراث، وذلك لغرض فهم التراث العربي، وإعادة بنائه وتشجيده

على أسس قديمة؛ حيث تنم أعمال المتوكل عن إدراك عميق لمعطيات التراث اللغوي العربي، ومتابعة دقيقة للسانيات الوظيفية، ومساهمة فعالة في تطوير نماذجها، وبذلك نجحت كتاباته في الكشف عن عدم وجود أي تعارض بين التراث اللغوي واللسانيات، إذا كانت الموازنة المعتمدة تقوم على الحوار البناء، الذي ينفي كل رجم بالغيب وعداوة الباحث لما يجهل، فالتراث اللغوي العربي لا ينفي علمية اللسانيات؛ واللسانيات لا تجب هذا التراث الأصيل، وبذلك فإن خلق حوار بناء بين الخطابين يمكن أن يقود إلى استثمار أوفى للسانيات في الثقافة العربية⁽¹⁹⁾.

4. منهجية التعامل مع التراث اللغوي العربي والوافد اللساني الغربي:

بقي أن نشير هنا إلى ما يمكن أن نقول عنه بالمنهجية الفعالة في التعامل مع التراث اللغوي العربي والوافد اللساني الغربي تحكمه ضوابط محددة، لخصها المتوكل في ضابطين أساسيين⁽²⁰⁾:

1. يجب ألا يخضع التراث إلى مقاييس التنظير اللساني الحديث بل يجب أن يقوم ويحكم عليه بالنظر إلى المناخ الفكري الذي أنتجه. فمن الحيف أن نطالب التراث وليد حقبة تاريخية أخرى بأن يستجيب إلى شروط البساطة والاقتصاد والصّورنة والقابلية للحوسبة، شروط لا يمكن أن تستوفها إلا النظريات اللسانية الحديثة.
2. يمكن أن نقارن إذا شئنا بين التراث اللغوي والنظريات اللسانية الحديثة لمجرد المقارنة لكن إذا أزمعنا المفاضلة فلتكن المفاضلة في إطار النظرية الوظيفية المثلى من جهة وبينه وبين النظريات القديمة التي عاصرتة وكانت نتاج نفس الحقبة ونفس المناخ الفكري من جهة ثانية.

إذن، بدأ الطرح اللساني نقداً للنظرية اللغوية ولاسيما النحو، ثم تحوّل إلى حوار متوازن في السبعينات بين البعد اللساني والبعد التراثي، ثم بات بعد ذلك وعياً متقدماً بالنظريات اللسانية من غير توازن مع النظريات التراثية الأمر الذي يجعله تهماً من نوع جديد؛ لهذا تصبح النتائج العملية في محصلة الأمر قليلة إذا ما قورنت بالجهود الفردية

الضخمة على امتداد مساحة الثقافة العربيّة، لأن اللسانيات نفسها قد أصابها كثير من التطوّر والتغيّر حتى أمكننا الحديث عن تطوّر الفكر اللسانيّ في النصف الثاني من القرن العشرين، ذلك لأنه إلى الآن لم يقدّم المشروع اللسانيّ المتكامل إلى حدّ ما حتى مع وجود دراسات لسانية رائدة زرع أصحابها رؤاهم اللسانية، لكن تلامذتهم لم يكونوا بمستواهم ليعتنوا بالزرع وليتوسعوا، ويقصد الباحث أعمال تمام حسان وعبد القادر الفاسي الفهري وعبد الرحمن الحاج صالح، وأكثر ما يخشى في هذا الباب أن ينهر الجيل الجديد بهذه الأعمال فلا يرى بسبب نورها شيئاً يمكن أن يضاف أو يستدرك أو يعدّل أو يصحّح، فضوء الأستاذ أحياناً يعي التلميذ⁽²¹⁾.

إذ لا فائدة من القول بأن منهجيات التفاعل اللسانيّ مع الثقافة العربيّة كان الأفضل لها أن تكون وفق منهج كذا أو منهج كذا، لأن ما حصل قد حصل، لكن ينبغي الخروج من التيه بالإجابة عن الأسئلة التي تطرحها اللسانيات، والقبول بها شريكا في تحديث الدرس اللغويّ من غير نسيان المنطلقات المعرفيّة المؤسّسة لعلوم اللغة العربيّة، ولا سيما في علم النحو⁽²²⁾.

5. خاتمة:

وختاماً؛ يمكن القول بأن اللجوء إلى قراءة الفكر اللغوي العربي القديم واللسانيات والتعامل معهما يفرض أن نميّز بين موقفين:

موقف حضاري: تعدّ القراءة فيه وسيلة ناجعة للتعريف بالتراث اللغوي العربي لا باعتباره جزءاً من تاريخ الفكر العربي فحسب، وإنما باعتبار أيضاً محطة تاريخية في مسار الفكر اللغوي الإنساني لا يمكن تجاهلها.

موقف علمي: حيث ينبغي أن ينظر للتراث على أنه إنتاج معرفي محدد بإطار تاريخي وثقافي يوضح مصادره الفكرية، ويرسم الخطوات والمراحل التي اتبعها لتحقيق جملة من الأهداف.

وعليه؛ فإن آخر حقيقة يجب إدراكها في هذا السياق هي أن الاختلاف بين التفكير اللساني العربي القديم والتفكير اللساني المعاصر هو اختلاف إبستمولوجي -حسب محمد بوعمامة- ومن ثم فإن إعادة القراءة يجب أن تنطلق من أن الفكرين نمطان مختلفان... فتقديس مقولات الأقدمين موقف خاطئ، والانطلاق من فرضيات البحث العلمي المعاصر موقف خاطئ أيضاً، ورأى بأن يكون العمل على القراءة دوماً تأكيداً نسبياً، وإلا أصبح الخطاب خطاباً إيديولوجياً⁽²³⁾.

توصيات ومقترحات:

وبناء على ما سبق يمكن أن نقترح جملة من التوصيات نراها كفيلة للنظر إلى التراث اللغوي العربي والوافد اللساني الغربي بنظرة عادلة لا انزواء في غياب المذهبية والتشتت لأنه ليس من طبيعة البحث العلمي، ومن جملة ذلك ما يلي:

- البحث في التراث اللغوي العربي لا بغرض تضخيم قيمته الإبداعية بالمغالاة، ودراسة الوافد اللساني الغربي لا لإسقاط المفاهيم اللسانية الغربية الدخيلة على التراث اللغوي العربي؛ إذ يمكن دراسة قضايا وظواهر لغوية من التراث بأدوات منهجية لسانية غربية حديثة.
- لا بد من تلقي وتمثل اللسانيات؛ بغية الاستفادة من مكتسباتها النظرية وإجراءاتها المنهجية بما يتوافق مع خصوصية التراث اللغوي العربي، ثم الانتقال من مرحلة التمثل إلى مرحلة الإبداع فيه.
- التوفيق بين التراث اللغوي العربي والوافد اللساني الغربي استمرار للخط اللغوي العربي الحديث؛ نحو إرساء دعائم مدرسة لسانية عربية حديثة قوامها الاعتدال في طرح الفكرة، منهجها الدقة والوضوح.

هذه هي بعض التصورات عن أهم مواقف اللسانيين العرب المحدثين التي جعلت التراث اللغوي العربي بين سندان الأصالة ومطرقة المعاصرة، وهذه معظم الآراء في المنهجية الفعالة في التعامل مع التراث اللغوي العربي والوافد اللساني الغربي.

6. قائمة الإحالات:

- 1- ينظر: صورية جغبوب، قضايا اللسانيات العربية الحديثة بين الأصالة والمعاصرة من خلال كتابات أحمد مختار عمر، رسالة دكتوراه، كلية اللغة والأدب العربي والفنون، جامعة باتنة 1- الحاج لخضر، الجزائر، 2012/2011م، ص 08.
- 2- ينظر: المرجع نفسه، ص 08.
- 3- ينظر: عبد السلام المسدي، التفكير اللساني في الحضارة العربية، الدار العربية للكتاب، ط1، 1981م، ط2، 1986م، ص 14 و15.
- 4- بوجمعة الأخضر، التفكير اللساني العربي القديم (تساؤلات حول إعادة القراءة)، دار توبقال، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 1987م، ص 37.
- 5- فاطمة الهاشي بكوش، نشأة الدرس اللساني العربي الحديث، إيتراك للطباعة والنشر والتوزيع، مصر، ط1، 2004م، ص 14.
- 6- ينظر: تمام حسان، مناهج البحث في اللغة، مكتبة الأنجلو مصرية، القاهرة، مصر، 1990م، ص: د - هـ.
- 7- حسن خميس الملق، اللسانيات في الثقافة العربية الحديثة، مقال منشور في: <https://www.aljabriabed.ne>، اطلع عليه يوم: 2020/1/22م.
- 8- ينظر: صورية جغبوب، مرجع سابق، ص 15 - 21.
- 9- ينظر: حسن خميس الملق، مرجع سابق.
- 10- محمد محمد حسين، فقه اللغة العربية بين الأصالة والتغريب، مقال منشور في كتاب: مقالات في الأدب واللغة، مؤسسة الرسالة، القاهرة، مصر، ط1، 1986م، ص 63.
- 11- المرجع نفسه، ص 70 و71.
- 12- ينظر: محمد بوعمامة، قضايا لغوية تراث ومعااصرة، مكتبة وهبة، القاهرة، مصر، ط1، 2017م، ص 08.
- 13- حسن خميس الملق، مرجع سابق.
- 14- المرجع نفسه.
- 15- المرجع نفسه.
- 16- ينظر: المرجع نفسه.
- 17- ينظر: محمد بوعمامة، مرجع سابق، ص 12 و13.
- 18- ينظر: المرجع نفسه، ص 13 و14.
- 19- ينظر: حافظ إسماعيلي علوي، تدبير الاختلاف بين الخطاب اللغوي العربي القديم والخطاب اللساني الحديث - اللسانيات الوظيفية نموذجا- كلية الآداب والعلوم الإنسانية، أكادير، <http://brahmiblogspotcom.blogspot.com>، اطلع عليه يوم: 2020/1/22م.
- 20- أحمد المتوكل، الوظائف التداولية في اللغة العربية، دار الثقافة، الدار البيضاء، المغرب، [د.ط.]، 1985م، ص 206.
- 21 - ينظر: حسن خميس الملق، مرجع سابق.

22- ينظر: المرجع نفسه.

23- ينظر: محمد بوعمامة، مرجع سابق، ص. 06

7. قائمة المصادر والمراجع:

المؤلفات:

1. أحمد المتوكل، الوظائف التداولية في اللغة العربية، دار الثقافة، الدار البيضاء، المغرب، [د.ط.]، 1985م.
2. بوجمعة الأخضر، التفكير اللساني العربي القديم (تساؤلات حول إعادة القراءة)، دار توبقال، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 1987م، ص 37.
3. تمام حسان، مناهج البحث في اللغة، مكتبة الأنجلو مصرية، القاهرة، مصر، 1990م.
4. عبد السلام المسدي، التفكير اللساني في الحضارة العربية، الدار العربية للكتاب، ط1، 1981م، ط2، 1986م.
5. فاطمة الهاشمي بكوش، نشأة الدرس اللساني العربي الحديث، إيتراك للطباعة والنشر والتوزيع، مصر، ط1، 2004م.
6. محمد بوعمامة، قضايا لغوية تراث ومعاصرة، مكتبة وهبة، القاهرة، مصر، ط1، 2017م.

الأطروحات:

7. صورية جغبوب، قضايا اللسانيات العربية الحديثة بين الأصالة والمعاصرة من خلال كتابات أحمد مختار عمر، رسالة دكتوراه، كلية اللغة والأدب العربي والفنون، جامعة باتنة 1- الحاج لخضر، الجزائر، 2012/2011م.

المقالات:

8. محمد محمد حسين، فقه اللغة العربية بين الأصالة والتغريب، مقال منشور في كتاب: مقالات في الأدب واللغة، مؤسسة الرسالة، القاهرة، مصر، ط1، 1986م.

مواقع الانترنت:

9. حافظ إسماعيلي علوي، تدبير الاختلاف بين الخطاب اللغوي العربي القديم والخطاب اللساني الحديث - اللسانيات الوظيفية نموذجا- كلية الآداب والعلوم الإنسانية، أكادير، <http://brahmiblogspotcom.blogspot.com>

10. حسن خميس الملق، اللسانيات في الثقافة العربية الحديثة، مقال منشور في: <https://www.aljabriabed.net>